

الحلقة الرابعة والأربعون

سفر الجامعة

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. مازلنا ندرس سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

تابع سليمان الحكيم في اللقاء الماضي الحديث عن قراراته العملية. فتحدّث عن فترة الشباب، وضرورة أن يحذّر الشاب من تلبية أهواء ورغبات الجسد، لأنه بسبب هذه الأمور يأتي به الله إلى الدينونة. ودعا الشاب لكي يُقبل على الحياة، لكن أن يُبعد الشر عن جسده.

صديقي الشاب، ما هو الأمر المهم في حياتك؟ وكيف تضع أولوياتك؟ هل تهتم بمستقبلك، وبدراستك، وبما تخطط له من مشاريع؟ وهل تعلم أن التفكير بهذه الأمور فقط، لا يكفي لكي تؤمن لنفسك حياة هانئة ومفيدة في المستقبل؟ قدّم سليمان الحكيم في ختام نصائحه العملية نصيحة هامة للشباب، فكتب قائلاً: « فاذكر خالقك في أيام شبابك، قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها سرور » (الجامعة ١٢:١). وبعبارة أخرى: « قبل أن تُقبل عليك أيام الشر، أو تغلب عليك السنون، حين تقول، ليس لي فيها لذة ».

لماذا من المهم جداً أن يذكر المرء خالقه في أيام شبابه؟ لأن الإنسان في تلك المرحلة يكون مليئاً بالحيوية والنشاط، ويستطيع فيها اتخاذ القرارات الهامة التي تؤثر على حياته في المستقبل. بينما عندما يكبر يفقد الحماس، ويصبح من الصعب عليه اتخاذ أي قرار. وعلاوة على ذلك إن الإنسان عندما يكبر وتقبل عليه أيام الشيخوخة، تفقد الأمور التي كان يتمتع بها في سن الشباب أهميتها. فإذا لم يضع الله في مركز اهتمامه، لن يجد الهناء الذي كان يتوق إليه أو يتوقعه. بينما إذا كان الله في صلب اهتمامه، فإنه سيعيش شيخوخته في هناء ورجاء.

اذكر خالقك في أيام شبابك، إنها نصيحة عملية هامة وجهها الحكيم لكل شاب وشابة في كل عصر وجيل. فيما أن الإنسان كغيره من المخلوقات يولد وينمو ويكبر، ثم يشيخ ويصاب بالانحلال، فمن أبسط مستلزمات الحكمة أن يأخذ في حسابه دورة الزمن هذه. والحكيم يريدنا أن ندرك هذه الحقيقة حتى عندما نكون في زمن الشباب، فترة القوة والحيوية. لأن هذه الفترة قد تخذعنا

بمباهجها وأفراحها، وتحدياتها، ونظرتها المتفائلة نحو المستقبل، فننسى التفكير الجدي بما هو حتماً آت، وبما سيمرّ علينا من تغييرات أكيدة.

ولعل الأمر الهام الآخر هو أن حياة الشباب المليئة بالإثارة والمغامرة والطموح، قد تقف حائلاً دون أن يفكر الشاب بالله، أو يجعله من أولوياته. فهو متحمس لمشاريعه وطموحاته، ويملاً وقته بنشاطاته المتعددة، ولا يجد وقتاً للتفكير بأي أمر آخر حتى ولو كان الله خالقه.

هل تدري مستمعي أن من المهم جداً أن تذكر خالقك في أيام شبابك؟ وأهم سبب لذلك، هو أن ذكر الله خالقك سيحفظك من الانجذاب وراء شهوات الجسد وأهوائه، التي تحدثنا عنها في اللقاء الماضي، ومن الانجرار والانخداع بمغريات هذا العالم الباطلة. وإن ذكرتك الله خالقك سيوجّه حياتك الاتجاه الصحيح، فتحفظ جسدك من مخاطر وأمراض كثيرة. وتبني مستقبلك على أسس سليمة، وتعود نفسك على عادات صالحة. وهذا ما تحصده عندما تكبر وتأتي أيام الشيخوخة، فتشعر بالأمان والطمأنينة، ويكون عندك رجاء في الله.

وأخيراً لا أخراً إن ذكر الله خالقك في أيام شبابك، سيساعدك لكي تضع حيوتك ونشاطك لدى تصرف الله خالقك. وهل هناك أجمل من أن يضع الإنسان طاقاته لدى الله؟ فيقوده ويستخدمه لما فيه الأفضل له، ويكون بركة للناس الذين حولهم!

نلاحظ مستمعي أن الحكيم طلب أن يذكر الشاب خالقه في أيام شبابه، وتحدثت عن الشيخوخة القادمة، لكنه لم يتكلم عن الموت. وهناك فرق كبير بين الأمرين، فذكر الله الخالق أي الإيمان به، يؤكد على الثقة بالله والرجاء بالمستقبل. بينما ذكر الموت وتوقعه، يشير إلى التشاؤم، وعدم الثقة بالله. نعم، إن حياة الإنسان إذا كانت نهايتها الموت لا معنى لها. وهو ما يحاول بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع أن يقنعوا الناس به. فعندما يكون الموت هو النهاية نفقد الرجاء والأمل، ويصبح همنا الوحيد هو إرضاء نفوسنا وإشباع رغباتنا الجسدية.

هل تذكر مستمعي الشاب خالقك؟ وهل تحاول أن تضعه في أولوياتك؟ وهل تعلم مدى أهمية ذلك على مجمل حياتك؟ لكن ماذا قصد الحكيم عندما قال: اذكر خالقك؟ هل هذا يعني أن تذكره أو تفكر به أحياناً؟ أو أن تقوم ببعض الفرائض الدينية، كالصوم

والصلاة ومساعدة الفقراء، والحج إلى الأماكن المقدسة؟ قد تكون بعض هذه الأمور جيدة بحد ذاتها، لكنها لن تحرك من عاداتك الشريرة، وتخلصك من آثامك، أي لن تجعلك تذكر خالقك بالحق. فنحن جميعاً كبشر خطاة بحاجة إلى من يحررنا أولاً من عبودية الخطيئة، وعندها نستطيع أن نذكر الله خالقنا.

وها هو المخلص المسيح يصرّح قائلاً: « أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى». (بشارة يوحنا ١٠:٩) أجل، إن المخلص المسيح هو الباب، الذي يجب أن ندخل منه، أي نؤمن به. وعندما نؤمن به نتحرر من عبودية الخطيئة وكل العادات الفاسدة، أي نخلص، ونجد الحياة الخصبة الهنيئة.

هل تعلم مستمعي أن الله تعالى قد أرسل المخلص المسيح لهذه الغاية؟ أي ليكون هو الوسيلة الوحيدة التي نتقذنا وتعيد شركتنا الروحية مع الله الأب! إن ذكر الخالق في أيام شبابك يعني إذن أن تتوب عن ذنوبك، وأن تؤمن من القلب بهذا المخلص الوحيد. فهل تراك تذكر خالقك في أيام شبابك؟